Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University of Baghdad
College of Art
AL-Adab-Journal

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية الآداب
مجلة الآداب

العدد : ٦٧٨ التاريخ : ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٧ Date: NO:

إلى / أ.م.د. علي جواد وتوت/ جامعة القادسية/ كلية الآداب

م.م. ازهر حميد محمد/ جامعة القادسية/ كلية الآداب

م/ نشر- المستلات

جامعة بغداد
مجلة الاداب
كلية الاداب

تحية طيبة . .

نؤيد لكم أن بحثكم المستل الموسوم: "الانفتاح الثقافي للجماعات الاثنية في العراق: دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة بغداد"

تم تقويمه وأصبح صالحاً للنشر في اعدادنا القادمة من مجلة الآداب .

الاستاذ الدكتور منذر علي عبد المالك

رئيس التحرير

نسخة منه الى /

مجلة الآداب للحفظ

E-mail:aladab_university@Yahoo.com
www.coart.uobaghdad.edu.iq

بغداد - الوزيرية - مجمع باب المعظم - هاتف / ٤٦١٨١٥٣

الانفتاح الثقافي للجماعات الاثنية في العراق

دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة بغداد

أ. م. د. علي جواد وتوت **م. ب. ازهر حميد محمد**

جامعة القادسية كلية الآداب

ملخص البحث

يعد موضوع البحث الانفتاح الثقافي للجماعات الأثنية من المواضيع غاية الأهمية ذلك لما يحمله هذا الموضوع من ابعاد اجتماعية وسياسية واقتصادية مؤثرة، ليس على الافراد والجماعات انما على المجتمع ككل من حيث ديمومته واستقراره.

وقد سعى البحث الحالي للإجابة عن تساؤلات عدة منها: ما المقصود بالانفتاح الثقافي للجماعات الأثنية في العراق؟ ما اهم الجماعات الاثنية في العراق؟ وما دور الانفتاح الثقافي في ترسيخ الهوية الوطنية على حساب الهوية الخاصة؟ وهل نجحت الدولة في تعاملها وأدارتها لتلك الجماعة؟ وكيف أثرت الاحداث الاخيرة على مستوى الانفتاح بين الجماعات الاثنية في العراق عامة ومدينة بغداد بشكل خاص؟.

يعد البحث الحالي من البحوث الوصفية، استخدم فيه الباحثان مناهج عدة منها المنهج التاريخي والمنهج الاثنوغرافي ومنهج المسح الميداني، واعتمد على استمارة استبيانيه تم توزيعها على عينة قصديه والبالغة (٣٢٥) مبحوثاً من ست جماعات اثنية رئيسية وفاعلة في مدينة بغداد.

المبحث الاول

الاطار العام للبحث

اولاً: عناصر البحث

١) مشكلة البحث

يعد وجود جماعات أثنية متباينة حقيقة تسود معظم المجتمعات الانسانية. والدول القائمة على التنوع القومي والديني والمذهبي، اذ تركت هذه الجماعات المؤلفة لتلك الدول اثراً بالغاً في طبيعة المسار السياسي والثقافي والاجتماعي للحراك الاجتماعي في تلك الدول والمجتمعات، فتارة تراها عامل استقرار وتنمية ومرة عامل اضطراب وحروب اهلية وانقسامات عرقية وأثنية وطائفية بين جماعاتها، الامر الذي شكل عائقاً كبيراً في طريق اندماج وتوحد النسيج الاجتماعي لتلك المجتمعات على حساب الهوية الوطنية. ولهذا جاء اهتمام البحث للإجابة عن التساؤلات الاتية: **ما المقصود بالانفتاح الثقافي للجماعات الأثنية في العراق؟ ما اهم الجماعات الاثنية في العراق؟ وما دور الانفتاح الثقافي في ترسيخ الهوية الوطنية على حساب الهوية الخاصة؟ وهل نجحت الدولة في تعاملها وأدارتها لتلك الجماعة؟ وكيف أثرت الاحداث الاخيرة على مستوى الانفتاح بين الجماعات الاثنية في العراق عامة ومدينة بغداد بشكل خاص؟.** تلك الاسئلة وغيرها هي مما سيحاول البحث الاجابة عنها.

٢) هدف البحث

يسعى البحث لتحقيق هدف اساس هو (معرفة عوامل الانفتاح في ثقافة الجماعات الأثنية العراقية، بمقابل عوامل الانغلاق في الثقافة ذاتها).

٣) اهمية البحث

تأتي اهمية البحث من اهمية موضوعه وذلك لإعطاء صورة واضحة عن مفهوم الانفتاح الثقافي للجماعات الاثنية في العراق، اذ تتجلى الاهمية الموضوعية للبحث الحالي من أهمية القضية التي يناقشها فانفتاح

الجماعات على بعضها وتقبل اختلافاتها يعزز اللحمة الوطنية ويرفع من شأن الهوية العراقية والعكس بالعكس. اما اهمية البحث العلمية فتاتي من كونه يشكل إضافة علمية الى مكتبة قسم علم الاجتماع التي تفتقر الى دراسات تناقش قضية الانفتاح الثقافي والجماعات الأثنية في مدينة بغداد.

ثانياً: تحديد المفاهيم

١. الانفتاح الثقافي

الانفتاح كمصْطلح يستخدم في الوقت الحاضِر لوصف سِلوك الافراد الّذين يجدون مَصالحهم الثقافية واهتماماتهم في العالم المُحيط بهم سواء كان ذلك مُتعلق بالأشخاص او الاحْداث او الطَبيعة[١].

ويعرف مفهوم الانفتاح الثقافي من المنظور الديني فموجود من خلال عمليات التَداخل الإنساني الحادث بِفعل عمليات الاتِصال والاعلام مما جَعل الانفتاح يَقضي على الانعِزال وبالتالي خلق نَوع من الأرضية الّتي تَجود بِعمليات الانفتاح الثقافي. أن المنظور الديني يَرفض ولا يَعترف بشيء اسمهُ الانغلاق الثقافي على الاخر بَل انه لا يرى أي شَرعيه له ويؤكد على الانْفتاح القائم على أساس قاعدة التَعاون الإنساني وَتأسيس قواعد التَعاون[٢].

٢. الجماعة الاثنية

الجماعة لفظ يُطلق على تجمعات الانسان في وَحدات معينة، اذ ان عيش الانسان لوَحدة لا يكفي في ملئ رَغباته وتلبية حاجاته فيعمل على الاجْتماع مع غيره في وحدات تُسمى (الجماعة)، وهذه الجماعات تَتميز بنوع من الدوام والانْسجام، أو هو مصطلح يُطلق على تجمع الافراد او أعضاء مَجموعة معينة تربطهم روابط مُشتركة مثل الجماعة السياسية او الأثنية او الجَماعة الأولية او الثانويَة[٣].

ويشير مُصطلح الاثنية الى مجمل المُمارسات الثقافية التي تُمارسها او تعتنقها جماعة من الناس تُميزهم عن الجماعات الأخرى، بحَيث يعتقد المنتمون الى جَماعة أثنية انهم يَتميزون من الوجهة الثقافية عن الجَماعات الأخرى داخل المجتمع الواحِد، كما ان هؤلاء الافراد ينظر لَهم من باقي الجَماعات على هذا الأساس، وَهذه الجماعات لها خصائِص أثنية خاصة بهم مِثل السمات الجسمانيَة اللغة او اللهجة، التاريخ، السُلالة، الدين، الأزياء، وهذه السِمات الثقافية اكتسبت بِعملية التنشئة الاجْتماعية وَليست الوراثة[٤].

المبحث الثاني

الانفتاح الثقافي والجماعات الاثنية

أولا: التنوع الأثني عبر التاريخ

١- الأثنيات في العراق القديم

يُسمى العراق قديماً بِلاد ما بين النهرين، وَجاءت هذه التسمية من وقوع العِراق بين نهري دجلة وَالفرات، ونظراً لطبيعة العِراق القديم المتمثلة بخصوبة سهوله وَوجود المياه فيه والامطار وَغيرها، جعلت منه بَلداً للانصهار الإنساني، اذ سَكنته مختلف الشعوب وَالاقوام والجماعات الاسيوية والعَربية والسامية، وامتزجت تِلك

---

[١] محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦، ص١٥٢

[٢] حسين درويش العادلي، الثقافة العراقية خيارات الاستلاب او الانغلاق او الانفتاح، مجلة النبأ، العدد (٧٤)، الكويت، مركز المستقبل للثقافة والاعلام، ٢٠٠٥، ص٥

[٣] عدنان أبو مصلح، معجم مصطلحات علم الاجتماع، عمان دار أسامة للنشر، ٢٠١٥، ص ١٨٢.

[٤] انتوني غدنز، علم الاجتماع – مع مدخلات عربية، ترجمة فايز الصياغ، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط٤، ٢٠٠٥، ص٣١٢.

الشعوب والقوميات مُكونة حضارة وادي الرافدين عِبر حقب تاريخية المُختلفة بدءاً من الفترة السومرية، وَحتى قيام الدولة العِراقية المُعاصرة عام ١٩٢١[٥].

ومن الواضِح ان سكان وادي الرافدين قد اندمَجوا وانصهروا مَع بعضهم وَكونوا شعباً واحداً وَحضارات عدة على الرغم من التنوع الأثني والعرقي لَهم، اذ سكن العراق السومريون الّذين يعدون من أوائل سُكان العراق في الوسط والجَنوب، وامتزج سكان العِراق من السومريين وَالاكديين وَالاموريين والاراميين وَالانباط، ثم العرب المُهاجرين من المسلمين مُنذ الالف الخامس(ق. م) الى القُرن السابع الميلادي [٦].

٢- الأثنيات في المورث العربي والإسلامي

لعل ظهور الإسلام في مَكان جغرافي محدد تَسوده وتسكنه جماعات مِن اجناس وقوميات وأثنيات مُتعددة كان له الأثر البالغ على سُرعة انتشار الإسلام وتقبله من جَماعات معينة ورفضه من جَماعات أخرى لما حَملة الدين الجديد من أفكار ومُمارسات جديدة لم يعتد عليها أبناء تِلك الجماعات القبلية، وَبالتالي خلق نوعاً من التَحدي في قبوله من تلك الجَماعات. لقد حمل الإسلام رسالة سَماوية قائمة على أسس دِينية لا قومية تدعو الى التَعامل مع كل الجماعات المُختلفة بالحُسنى والعدل كما ورد في سورة النَحل اية ١٢٥[٧].

إنّ هذا الواقع الجديد على الجَماعات المتباينة أثنياً خَلق خيارات جديدة أهمها اما الدِخول في الإسلام فَدخلته جماعات مُختلفة مثل (العَرب، الترك، الفُرس، البربر، الزنوج، الاقْباط) أو الدخول في ما يسمى (بأهل الذمة)•، أي الاحتِفاظ بالاعتقاد الديني مُقابل ترتيبات معينة فَرضها الإسلام[٨].

٣- الأثنيات في الدولة العثمانية

يبدو انّ تاريخ العراق قد تأثر وَبشكل واسع بسياسات وَقوانين الإمبراطورية العثمانية سَواء كان ذلك عن طَريق الحكم المباشر للعراق ام عن طَريق سياستها المُتعلقة بالمنطقة ككل، وَبما ان العراق كان مُجتمعا متنوعاً من حيث أثنياته وجَماعاته المختلفة دينياً وفكرياً وقَومياً وحتى لغوياً، فقد اختلفت وَتنوعت سياسة الدولة العُثمانية تجاه تلك الأثنيات. وفي ظِل اصدار الدولة العثمانية الكَثير من الإصلاحات ومنها مَرسوم (كولخانه)* (١٨٣٩) والّذي اعتبرت فيه جميع رعايا الدَولة العثمانية مُتساوون امام القانون، وحصول الأثنيات على حَيز اكبر من الحرية والعَدالة والمساواة الا انّ هذا التعامل قَد تباين بين جماعة أثنية وأخرى، فَما يخص (اليَهود) مثلا لوحظ انهُ اصبح لديهم امْتيازات جَيدة حيث كانت لهم مَحاكمهم الخاصة واستقلالية في العِبادة وإدارة المعابد وسَيطرة على المؤسسات التَعليمية اليهودية وإدارة المُؤسسات الصحية، لا حتى الأمور الدِينية أصبحت بيد ما يُعرف بـ(الحاخام)، بعد اصْدار الدولة العثمانية ما يُعرف بـ (نِظام الحاخامخانه) عام ١٨٦٤ وتطبيق نِظام (الملل) الذي صَدر في عهد السلطان محمد الفاتِح [٩].

---

[٥] سليم مطر، الذات الجريحة، بيروت، دار الكلمة الحرة، ط٤، ٢٠٠٨، ص ١٦٤.

[٦] عبد القادر عبد الجبار الشيخلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٩٠، ص٩١.

[٧] القرآن الكريم، سورة النحل، اية ١٢٥.

• أهل الذمة، هو مصطلح اطلق على اصحاب الديانات السماوية الاخرى غير المسلمين مثل اليهود.

[٨] ادهام محمد العزاوي، الاقليات والامن القومي العربي، عمان، دار وائل، ط١، ٢٠٠٣، ص ٢٠٥.

* خطي شريف كولخانه، هو مرسوم اصلاحي صدر في عهد السلطان العثماني عبد المجيد الثاني نضم فيه وضع الاقليات والجاليات غير المسلمة في الدولة العثمانية بحيث اصبحت لها حقوق وواجبات معينة .

[٩] سعد سلوم، السياسات والاثنيات في العراق – منذ العهد العثماني حتى الوقت الراهن، بيروت، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، ط١، ٢٠١٤، ص٢٠.

فعمل اليَهود في كافة المجالات التِجارية والسياسية والتَعليمية وكانت لهم شبه سيطرة كامِلة على اقتصاد العراق، واصبَح لهم تمثيل في مِجلس إدارة الولايات الثَلاث في العراق (البصرة، بَغداد، الموصل) واشتهر العَديد منهم في مجال السياسة والاقتصاد وَبرزت اسر مهمة في بَغداد أمثال (اسرة ساسون، واسرَة زلخة، واسرَة دانيال) وبرز تُجار عراقيين معرفيين مثل (الياهو، وَشاؤول شوشوع) [١٠].

من ذلك نُلاحظ ان اليهود كأثنية في العِراق لم تعاني من التميز والاضْطهاد في المعاملة في العهد العثماني اذ يَستشهد بذلك احد (حاخاماتهم) وَهو (جوزيف بنيامين) بِقوله ((ما مِن مكان مثل بَغداد وجدت فيه أبناء دِيني بمثل هذا التَحرر من ذلك القَلق الأسود والمَزاج الكئيب الصامِت الذي هو ثَمرة اللا تسامح والاضْطهاد [١١].

اما المَسيحيون فلم تختلف مُعاملتهم عن اليهود في ظل الدَولة العثمانية اذ تم الاعْتراف بطوائفهم المسيحية والسَماح لهم ببناء الكنائس وادارتها سَواء كان من (السِريان أو اللاتين أو الكِلدان) ومنحوا حقوقاً متساوية مَع الأقليات والأثنيات الأخْرى عدا بعض الأمور الاجْتماعية مثل عدم السَماح لهم بِلبس العمامة أو غيرها، لذلك بَرز الكثير من المَسيحيون في المجالات السِياسية والتربوية والاقتصادية وأصبَحت لهم مدارسهم الخاصة وَصحفهم الخاصة مثل (اكليل الوَرد) و(الايمان والعمل)، كذلك عَملت الدولة العثمانية على الحَد من الاعتداءات الّتي كانوا يتعرضون لها خاصة في مَناطق سكنهم في (القوش) في الموصل مِن اعتداءات بعض الكُرد والعرب المسلمين[١٢].

اما الايزيديين لم يَكن حالهم بأحسن من العَرب الشيعة في تعامل الدولة العُثمانية معهم، اذ اتسمت سياسة الدَولة العثمانية تجاههم بنوع من البَطش والفوة والاجبار والتكفير واصبَح سلاح الفتاوى والفرمانات ضِد الايزيديين سلاحاً قويا قائم على اساس انهم اعداء لمُقدسات المسلمين وانهم فئة ضالة وَعبدة الشيطان، ومن هنا كانَت فتوى الشيخ (ابو السعود العِمادي) مفتي الدولة العُثمانية في عهد السُلطان سليمان القانوني (١٥٢٠– ١٥٦١) بِمثابة النص الشرعي الاسْلامي الذي كفر الايزيديين[١٣].

ويرى الباحث إن حال الايزيدين في ظل الحكم العثماني استند في معاداته للايزيدين على شعار إسلامي متطرف أساسه انهم فئة ضالة خرجت عن طوع الإسلام، لذا لابد من اعادتهم اليه أو تأديبهم في ظل تعاليم الإسلام الداعية لذلك.

ثانياً: الأثنيات في العالم المعاصر

لقد ظَهر مفهوم (التَنوع الأثني أو الثَقافي) بشكل واسع في التاريخ المُعاصر أواخر الستينات وبرزت بشكلها العلني في عقد التسعينيات من القرن العشرين، غير ان هذا المفهوم قد تباين واختلف من مكان جغرافي الى اخر لا من بلد الى اخر، اذ انْهارت دولاً واتحادات كانت قائمة على أساس قَومي وأثني وتحولت الى دولاً عدة مثل انهيار الاتحاد اليوغسلافي السابق وتشظيه الى عدة دول مثل البوسنة والهرسك وكرواتيا وَصربيا، وحل التنافس والصراع القومي والأثني بين دَولها محل التوافق والتعايش والاندماج[١٤].

---

[١٠] حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، ترجمة عقيق الرزاز، المكتبة الوطنية الايرانية، ط١، ٢٠٠٥، ص٢٨١–٢٨٩.

[١١] نفسه، ص ٢٩٥.

[١٢] سامي ناظم المنصوري، سياسة الدولة العثمانية تجاه الاقليات العرقية والطوائف الدينية في العراق، اطروحة دكتوراه، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠١٠، ص ٢٤٠ – ٢٤٦.

[١٣] سعد سلوم، الاقليات في العراق، (الذاكرة – الهوية – التحديات)، بيروت، مؤسسة مسارات، ط١، ٢٠١٥، ص٩١–٩٢.

[١٤] ايان لو، المصدر السابق، ص٤٨٩.

ثالثاً: التنوع الأثني في العراق

يتألف سُكان العراق اليوم من عِدة جماعات وأثنيات مُتباينة عرقياً ودينياً ومذهبياً، اذ يُوجد فيه العرب والكُرد والتركمان، وتوجد فيه طوائف اسلامية مختلفة وجماعات دينية مختلفة إسلامية ومسيحية ويهودية، فضلاً عن أقليات وإثنيات متنوعة ايزيديون وصابئة وشبك وبهائية وغيرهم من مذاهب وفرق (شيعية وسنية وصوفية وسلفية). مما جعل تنوعه الأثني طرازاً فريداً من نوعه مقارنة بالجوار العربي والإقليمي من حوله[١٥].

اما ابرز الجَماعات الأثنية في العراق:

١. **العرب الشيعة**:

ويسكنون أكْثر مناطق العِراق ازدحاماً بالسُكان، إذ يشغل السُكان الشيعة المنطَقة الجغرافية الممتدة من مَدينة بغداد وحتى مَدينة البصرة، أي إلى الجِنوب الشرقي والجنوب الغربي من نهري دجلة والفرات، حيث يتوزعون على تِسع مُحافظات عراقية. غير أن هذا التَوزيع الجغرافي لمَناطق سكن الشيعة لم يكُن صافياً، إذ تَتخلّله بعض مناطق السَكن السّنية، خاصةً في ذي قار والبَصرة وبالتحديد في بَلدة الزبير في البَصرة ذات الأغلبية السُكانية السّنية[١٦].

٢. **العرب السنّة:**

يسكن هؤلاء المنطَقة الجغرافية المُمتدة من مدينة بغداد باتجاه الشَمال الشرقي والشَمال الغربي لنهري دجلة والفُرات وخاصة في مناطق ديالى وصَلاح الدين والانبار وصولا إلى مُحافظة الموصل، غير أنّ هذا الامتداد السُني ليس خالصا أيضا إذ تَخترق مناطق سكن شيعية صَغيرة الحَجم وخاصة في الدجيل وسامراء وَبلد في صلاح الدين وبَعض المناطق الأخرى في مُحافظة ديالى[١٧].

٣. **الاكراد:**

يَتوزع الاكْراد على خمس دِول أساسية هي العِراق وتُركيا وايران وَسوريا و أرْمينيا اذ تشكل تُركيا اكبر تَجمع لهم ويشكلون ٢٠% من سُكانها اما ايران حَوالي ١٠% وغالبيتهم من المُسلمين السنة والقليل من الشِيعة مع وجود ديانات غير تَوحيدية لديهم، ولهم لَهجات عدة مِثل الكرمانجية والبَهدنانية والسُورانية وغيرها من اللهجات الخاصَة الأخرى[١٨].

٤. **التركمان:**

اختلفت الآراء في تحديد اصل كَلمة (التركمان) فمنهم من يُرجعها الى كلمة مُركبة وهي (ترك، مانند) وَهي فارسية اذ اطلقت هَذه التسمية على قِسماً من قبائل (اوغوز خان) التي سَكنت بالقرب من خَرسان والذين امتازوا بخشونة لَهجتهم والباقية من عَهد ابائهم لذلك اطلق عَليهم اشباه الترك أو انها ناتجة مِن كلمتي (تورك مان)، اذ أصبَحت كلمة تركمان بعد دُخول قبائل (اوغوز خان) الإسْلام بعد القرن الحادي عَشر الميلادي[١٩].

٥. **الصابئة:**

---

[١٥] رشيد الخيون، المجتمع العراقي تراث التسامح والتكاره، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٥٤-٥٨

[١٦] نفسه، ص٥٦.

[١٧] علي وتوت، الدولة والمجتمع، المصدر السابق، ص١٤٣

[١٨] دهام محمد دهام، مصدر سابق، ص ٢٠٥.

[١٩] عزيز قادر الصمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق، بيروت، دار الساقي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩، ص٢١.

يعرف الصابِئة باسم (مِنداي) أي أصحاب الدِيانة المندائية اما اسم (الصِبّه) ربما جاء من الفعل (صَبا) الارامي ومعناه (يَرتمس)، و(صَببنا بِمصبتة أد بَهدام رَبه) أي تعمدنا بِعماد إبراهيم الكبير لذلك اطلق عَليهم اسم (الصابئين) أي المُغتسلة بالارامي[٢٠].

في حين ترى آراء أخرى ان الصابئة هي ديانة وليست تسمية، اذ ان كلمة الصابئة وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات كما يذكر في سورة البقرة ("إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ") [٢١].

٦. الايزيديون:

هم من الجماعات الأثنية القديمة التي سكنت شمال العراق، اختلف الباحثين في تحديد اصلهم ونسبهم فمنهم من يَرى انهم مِن نسب يَزيد بن مُعاوية بن ابي سُفيان وبالتالي هُم عَرب، ومنهم من يَرى انهم اكْراد، واخرون يَنسبهم الى السُومريين نسبة الى كَلمة (ازيدا) والّتي تعني بالسُومرية الروح الخَيرة النَقية[٢٢].

وَيرى اخرون ان اليَزيدين أو الايزيديون ذَوي دين مَركب يشمل في طقوسهِ على الزرادشتية وَالمانوية وَبعض مبادئ الإسْلام والمسيحية، فَهم من طائِفة ذات ديانة ثُنائية تعبد الخَير والشر وتَجعل الكون تَحت سيطرة النور والظَلام[٢٣].

٧. المسيحيون:

يعد المَسيحيون من اقْدم من سكن العِراق وعاشوا في مناطق مُختلفة فيه سواء كان ذلك في الشَمال أو الوسط والجنوب، وَبشكل عام يقسم المسيحيون الى قِسمين هما سكان العِراق القدماء وهم (الكِلدان والاشُوريين أو ما يُعرف بالسِريان) وجميعهم يَنتمون الى الاقوام السامية، وَيتحدثون اللغة الكِلدانية (السريانية) لغتهم القومية وكَذلك اللغة العربية، اما المُهاجرون فهم اتباع الكَنيسة النَسطورية الّذين هاجروا الى العراق من تُركيا وايران[٢٤].

رابعاً: الدولة وإدارة التنوع.. الهوية العراقية والتعددية

قبل التعرف على أيديولوجية الدولة العراقية ونظمها السياسية والكيفية التي ادارت وتعاملت بها مع الأثنيات المكونة للمجتمع العراقي، وكيف اثرّ ذلك بالنتيجة على شكل الهوية العراقية وبروزها في زمن معين، وضعفها في آخر، مع نمو وتصاعد للهويات الفرعية الأثنية على حساب الهوية الام، لا بد من معرفة أسس واتجاهات الهوية العراقية واثرها على تكوين المجتمع العراقي، وهل هناك فعلاً مجتمع عراقي قائم على أساس الوحدة بين مختلف طوائفه وأثنياته واعراقه وبالتالي هل هناك هوية وطنية عراقية موحدة ؟ ام ان هذا المعنى للمجتمع غير موجود في ظل تعدد الانتماءات والولاء والتبعية السياسية والاجتماعية والثقافية وبالتالي لا توجد هوية عامة وشاملة للمجتمع في ظل غياب المجتمع الواحد ووجود هويات فرعية أخرى[٢٥].

فيما ينظر البَعض الى ان ضعف الهوية الوَطنية العراقية نابع من ازدواجية (الهَوية العراقية) سواء كانت لدى الفَرد أو الجماعة، وان هذهِ الازدواجية ناجمة بالدَرجة الأولى من عدة عَوامل ابرزها ضعف المُؤسسة التربوية

---

[٢٠] الليدي دراوو، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ط٢، ٢٠٠٦، ص٨.

[٢١] سورة البقرة، اية ٦٢.

[٢٢] فايز عبد الله العساف، الأقليات واثرها في استقرار الدولة القومية، اكراد العراق نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، كلية الآداب، قسم العلوم السياسية، ٢٠١٠، ص٢٩.

[٢٣] علي وتوت، مصدر سابق، ص١٤٧.

[٢٤] علي وتوت، الدولة والمجتمع المعاصر، المصدر السابق، ص١٢٤.

[٢٥] علي وتوت واخرون، المواطنة والهوية الوطنية، بغداد– العراق، الحضارية للطباعة والنشر، د.ت، ص٣٤ – ٣٥.

والتعليمية وَفشلها في ابراز حقيقة الانتماء الوَطني والتعايش السِلمي بين مكونات المُجتمع، إذ نلاحظ ان الفرد العِراقي لا يعرف من الجَماعات العراقية الأخرى الّتي تعيش معه الا ما تربى وسَمع عنه، فالسّني لا يعرف سِوى التشكيك بالولاء العروبي للشيعة والشيعي لا يدرك حقائق مُهمة عن السنة بقدر مَعرفته بمآزره السنة ليزيد بن مُعاوية في قتل الحسين، وهكذا ينظر للكُرد على انهم شعوب (هِند اوربية) ليس لهم مَكان في العراق كذلك ينظر الكُرد للوطن الام على ان حُضورهم فيه حضور تكتيكي قائِم على أساس الحصول على اكْبر قدر من المنافع ثم اعلان الاسْتقلال، وينظر للمَسيحين انهم جاليات اوربية سَكنت العراق والايزيديون عَبدة شيطان والصابئة دين وهمي غامض كل هذه العوامل افقدت الهوية طابعها الوطني[٢٦].

اضف الى ذلك الجهل الذي عانى منه الفرد العراقي قد ولد لديه صراع وجودي وخوف من المجهول وبالتالي خلق ازمة هوية عميقة لدى ذلك الفرد، فبالإضافة للجهل والخوف كان هناك كثرة الانتماء سواء كانت قبيلة أو أثنية أو طائفية، هذا الانتماء لثقافة الهوية الفرعية وزاد من قوتها على حساب الهوية الوطنية فالشيعة هويتهم الشيعية أولا والسنة هويتهم السنية أولا والكرد كذلك وباقي الطوائف وهذا يعني قوة الهويات الفرعية على حساب الوطنية[٢٧].

لقد بَرز هذا الواقع بعد سُقوط النظام عام ٢٠٠٣ اذ انطلقت الهَويات الفرعية بقوة وفرضت هيبتها بِشكل كبير على العراق، فالشِيعة والجماعات الشِيعية اصبح لها التزام مَرجعي شيعي واضح سواء كانت مَرجعية السيد عَلي السيسْتاني ام المَرجعيات الأخرى وبالتالي كانت المَرجعية والهوية الشيعية[٢٨].

مِن جهة أخرى قابلة هوية كُردية قومية وميول انفصاليه وَمن جهة أخرى تَشتت الهوية السنية ما بين العُروبة والإسلام والرغبَة في قيام دولة سُنية وبالتالي فَقدت الوضوح في هُويتها ومرجعيتها[٢٩].

فهم يَصرون على هوية عراقية خاصة قائِمة على الانتماء والانحِدار العرقي العَربي القومي، وبذلك ادخلوا كُل الطوائف الأخرى في طابع التَشكيك بعراقيّتهم مما زاد ذلك مِن ابتعادهم عن الهَوية العراقية والبَحث عن الهوية العربية باعتبارها الهَوية الاحق للعِراق بها[٣٠].

خامساً: ممكنات الانغلاق للجماعات الأثنية في العراق

مُنذ انتهاء الحرب الباردة شَهد التاريخ المُعاصر صراعات وجودية عَميقة جدا بين الجماعات والافراد الذين عاشوا زَمناً طويلاً جنباً الى جنب، أذ ظَهرت مفاهيم جديدة اوجَست العقل البشري منها، مِثل الإبادة الجماعية والتَطهير العرقي والاغْتصاب الجماعي والقَتل على الهوية، وتَدمير المدن التاريخية وغَيرها، وفي ظل هذا الصِراع الدموي تأسست الهويات المُغلقة للأفراد والجماعات ونمت على أسس من الانعزال والانغلاق سواء كان ذلك في (اللغَة أو السُلالة أو الدين أو الأثْنية أو القَومية أو الانتِماء السياسي أو حَتى الطَبقي) [٣١].

---

[٢٦]سليم مطر، الذات الجريحة، مصدر سابق، ص ٣٥٢.

[٢٧]حسن لطيف الزبيدي واخرون، العراق والبحث عن المستقبل، بيروت، المركز العراقي للبحوث والدراسات، ط١، ١، ٢٠٠٨، ص ٥٢٤.

[٢٨]إسحاق نقاش واخرون، المجتمع العراقي – حفريات سوسيولوجية في الاثنيات والطوائف والطبقات، بيروت، دار الفرات للنشر والتوزيع، ط١، ص٣٤٢.

[٢٩] المصدر نفسه، ص٣٤٥

[٣٠]حسن لطيف الزبيدي، مصدر سابق، ص٥٢٥ .

[٣١] فيرن نيوفيلد ريديكوب، من العنف الى التراحم، ترجمة سهيل نجم واخرون، بغداد، الروسم للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٢، ص١٥.

وهذا الانْغلاق الهوياتي القائم على أساس التَخندق القومي والأثْني قد ولد في نهاية المَطاف ما يعرف (بالانْغلاق الثقافي) بين الجَماعات الساكنة في بلد واحِد والذين عاشوا زَمناً طويلاً بعضهم مع البعض، فكان العُنف والعنف المضاد والتَمحور حول الذات مع اتهام الاخر المُختلف أثنيا أو مَذهبيا أو قوميا قد مكن في النِهاية ليس على الانغلاق الاجْتماعي أو الديني أو الأثْني، انما شجع على الانفصال عَن جسد الامة والسعي الى تَكوين جسد امة اخر داخِل البلد الواحد كما يُحاول الاكراد في العِراق القيام به[٣٢].

ثمة رأي آخر بربط الانغلاق الثقافي للجماعات والطوائف بالانغلاق الديني لها، على أساس ان هناك علاقة وثيقة بين الايمان الدِيني من جهة وَبين العنف والتعَصب والذي يخلق الانْغلاق والانكفاء، ويبدو ذلك واضِحاً في حديث الدُعاة الأصوليين من الديانات التَوحيدية بأنهم أصحاب الحقيقة المُطلقة وانهم (شَعب الله المُختار)، وبالتالي كل دين يحاول ان يمنح نَفسه صفة الفرقة الناجِية[٣٣].

فالمسيحيون يَرون ان المسيحية حاملة لحقيقة الدين والالة، والمُسلمين يرون الإسلام دين الحَق الأوحد، واليَهود يرون اليهودية تجسيد للإيمان من خِلال العهد مع الرب ، بل وَصل الانغلاق الديني داخِل الدين الواحد والطائفة الواحِدة فالشيعة يرون انفسهم امتداداً لتَجربة النبوة، والسنة يرون انفسهم مالكين لمَنهج السلف الصالح والجَماعة، وهنا اصبحت العِلاقة براغماتية بين العنف والانغلاق وبين الايمان الديني الاصولي، ذاك مِن خلال رفض الديانات التَوحيدية الكبرى ولنقل المُؤمنون الأكثر تعصباً للاديان المُغلقة وللأثنيات والجماعات الأخرى أو رَفض قيم التعددية الثقافية أو الاختلاف الدِيني والعقائدي والثقافي مما خَلق نوعاً من الانغلاق الاجتماعي والديني لبَعض الجماعات الّذي خلق في النهاية فِكرة رفض الاخرين والانْغلاق بشكل شبه كامل مَع البعد عن باقي جماعات المُجتمع الأخرى[٣٤].

سادساً: **إمكانات التعايش والانفتاح للجماعات الأثنية في العراق**

ان كَلمة الانفتاح ذات ابْعاد ومضامين عدة، وهي تُعطي تصورات مختلفة بِحسب رؤية الفرد والجماعة أو المُجتمع، وكذلك حسب الزمان والمَكان، كذلك تلعب الظروف والأزمات والمُستجدات دورها في تَحديد معنى الانفتاح.

فقد يشير الانفتاح الى مفهوم ثقافي من خلال كسب المعرفة الثقافية من الاخرين أو بث ثقافة الجماعة أو المجتمع لجماعة أو مجتمعات أخرى وهنا لا يأتي هذا النوع من الانفتاح الا عن طريق تهذيب الذات وفتح العقول على الاخرين وتوسيع مدارك العلم عن طريق القراءة واستخلاص المفيد من تجارب الاخرين.

وقد يكون الانفتاح مُجتمعي أي انفتاح المُجتمع على اجزائه المُكونة له، اذا ما عرفنا ان هناك مجتمعات هي خليط من قوميات واعراق وَطوائف عدة مثل المجتمع العَربي (كُرد، عَرب، تُركمان، اقباط، مَسيحيون، دُروز، امازِيغ)، وهنا الانفتاح يَعني اذابة وصهر المُجتمع في مكوناته وَليس صهر المُكونات في المجتمع[٣٥].

ان النوع الأخير من الانْفتاح يتطلب اليوم زرع الثقة المُتبادلة بين المجتمع واجزائه من جهة وبين أجزاء ذلك المُجتمع مع بعضها في جو من الحُرية والمساواة والعدالة في حق كل جزء من هذه الأجزاء في مُمارسة عاداته وتقاليده وممارسة أفكاره بَعيداً عن تسلط الجماعات المُهيمنة الأخرى أو تَسلط المجتمع عليها[٣٦].

---

[٣٢] المصدر نفسه، ص ١٨٥.

[٣٣] رشيد السعدي، محنة الايمان وانغلاق الفقه وتهافت القانون، المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ط١، ٢٠١٦، ص٢٨.

[٣٤] المصدر نفسه، ص٣٠.

[٣٥] شفيق الغبرا، منبر الحرية، كانون الأول، ٢٠١٠، ص١٤، تم استجاعهِ ٢٠١٧/٢٠، الوقت (11:15:A.M) للمزيد ينظر الى:

- http://minbara thurrigga.org/index.php archires/3931 .

وبالرجوع الى واقع المجتمع العراقي ومدى تأثير الانفتاح أو الانغلاق الثقافي والفكري عليه، فأنه يمكن القول ان المجتمع العراقي وبأعتباره جزءاً من منظومة اكبر، ألا وهو العالم العربي والإسلامي وخضوعه لنفس الظروف والعوامل الداخلية والخارجية التي شكلت بنية الاجتماعية فأن المجتمع العراقي ولفترات تاريخية عدة قد عانى من عمليات الانغلاق بكافة مسمياتها، اذ لعبت السيطرة الاستعمارية العثمانية ومن بعدها البريطانية في صياغة مجتمع منغلق على ذاته بعيداً عن الانفتاح والتعايش الا بصورة ضئيلة جداً وبالتالي دفعت تلك الظروف المأساوية جماعات وطبقات المجتمع نحو التمركز الأثني والطائفي والقومي، وحلت الرابطة الأثنية محل الرابطة الوطنية، اذ يَذكر الباحِث (غَسان سَلامة) ان هذه الحَقيقة قد تنبه لها المَلك فيصل الأول في مُذكراته السرية (اذ يَرى ان البلاد العِراقية من جملة البُلدان التي ينقصها اهم عُنصر من عناصر الحَياة الاجتماعية، الا وهي الوحدَة الفكرية والدينية للمُجتمع، وتبعثر قواها وانقسامها، اذ لا يوجَد في العراق شَعب عراقي بعد، بل تُوجد تكتلات بَشرية خالية من أي فِكرة وطنية تَجمعهم[٣٧].

ان هذه الحَقيقة اشارت اليها وقائع عدة، منها بُعد الجَماعات العراقية عن بعضها البَعض اذ اندفعت تلك الجماعات وبدوافع عدة نَحو التمركز الأثني حول طوائفها وأثنياتها وبالتالي ابتعدت عن تمحورها الوطني واندماجها المجتمعي، اذ ان مؤشرات هذا البعد كانت واضحة ايضاً من خلال اختلاف تلك الجماعات من حيث (اللغَة، اللهجَة، التَقاليد، الدين، الانتِماء) فمثلاً سكان الجنوب الشيعة يتكلمون بلهجة مُختلفة عن لهجة سكان الوسط اهل السنة ولغة العرب مختلفة عن لغة الكرد في الشمال ودين المسلمين ليس كدين المسيحين وعادات وَطقوس الايزيدين والصابئة ليست كعادات الشبك والتُركمان، بل وصل الامر الى حَد المسميات اذ نادراً ما يُسمى الشيعة أسماء أولادهم بأسماء (عُمر أو بَكر أو عثمان) ونادراً ما يسمى اهل السنة (زهراء أو زينب)، كذلك للايزيدين مُسمياتهم كذلك باقي الطوائف الأخرى ،وتجلى الامر بشكل اكثر وضوحاً في الانتماء السياسي اذ لا يمكن انتخاب سني في مَناطق الشيعة، أو انتخاب شيعي في مَناطق السنة أو انتخاب كردي في مَناطق العرب والعكس من ذلك وبالتالي كان هذا الانْعزال والتمركز كان واضحاً وقوياً بين جماعات المُجتمع العراقي[٣٨].

المبحث الثالث

نوع البحث ومنهج البحث ومجالاته وعينة البحث

اولاً: نوع البحث ومنهجه

يعدّ البحث الحالي من الأبْحاث الوصفية، والتي حاول الباحِثان فيه الوصول الى فهم وبيان الظاهِرة محور البحث والدراسة، وتَحقيق الأهداف المنشودة، ونظراً لطبيعة البَحث الحالي فقد استخدم الباحث اربع مناهج أساسية هي منهج المسح الميداني، والمنهج التاريخي والمنهج المقارن ومَنهج دراسة الأعراق الاثنوغرافي، اذ هدف الباحث من استخدام هذه المناهج التعبير عن الأهداف المرجوة للبحث.

ثانياً: مجالات البحث

١) **المجال الزماني:** إذ أجريت هذه الدراسة خلال المدة من (٢٠١٧/٩/١-٢٠١٧/١٠/١٥) وهي المدة التي استغرقها الباحث في توزيع استمارة الاستبيان وجمعها من الميدان.

---

[٣٦] المصدر نفسه.

[٣٧] غسان سلامة، المصدر السابق، ص٨٨ .

[٣٨] محمود شمال حسن، مرجعيات الجماعات، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠١٠، ص١١٥-١١٢.

٢) **المجال المكاني:** حيث كانت مدينة بغداد مكاناً لأجراء الدراسة الميدانية، وتحديداً مناطق (الكاظمية والاعظمية والكرادة وشارع فلسطين وبغداد الجديدة والسعدون والباب الشرقي والطارمية وزيونه).

٣) **المجال البشري:** شمل المجال البشري عينة من الافراد الذين ينتمون لمجموعة من الجماعات الاثنية والطوائف الدينية العراقية المختلفة والساكنة في مدينة بغداد.

ثالثاً: تحديد مجتمع البحث والعينة

ضمّ مجتمع البحث الحالي عدداً من الافراد ومن مستويات تعليمية وثقافية واجتماعية مختلفة ولعدد من الجماعات الاثنية والطوائف الدينية الساكنة في مدينة بغداد، وسوف يجري الباحث العمل الميداني ضمن حدود هذا المجتمع، وقد اختار الباحثان عينة قصدية، التي اعتمد خلالها (٦) مجموعات أثنية ومذهبية تمثل التنوع الاثني والثقافي والديني والمذهبي في مدينة بغداد، وكما موضح في الجدول (١).

جدول رقم (١)

توزيع عينة البحث حسب الجماعات الدينية والاثنية في مدينة بغداد

الجماعات الاثنية	عدد افراد الجماعة في العينة
العرب الشيعة	١٠٠
العرب السنة	٧٠
الاكراد	٤٠
المسيحيون	٣٥
التركمان	٣٠
المندائيون	٢٥
الايزيديون	٢٥
المجموع	**٣٢٥**

رابعاً ادوات جمع البيانات

اعتمد الباحثان الاستبيان كأداة رئيسة لجمع البيانات. ويعدّ الاستبيان اكثر الأدوات ملائمة للحصول على بيانات ومعلومات وحقائق مرتبطة بواقع معين، ويصاغ الاستبيان على شكل مجموعة من الأسئلة، يتطلب الإجابة عليها من عدد من الافراد (المبحوثين) المعنين بموضوع الاستبيان.

كما يعتبر الاستبيان احد وسائل البحث العلمي التي تستخدم على نطاق واسع من اجل الحصول على معلومات أو بيانات متعلقة بميول الناس واحوالهم واتجاهاتهم[٣٩]، وهو من اكثر الادوات المستعملة والمعروفة لدى الباحثين في العلوم الاجتماعية للحصول على بيانات ومعلومات عن الافراد لأنه من الأدوات الاقتصادية ويمكن ضمان سيره، وايصاله الى اشخاص في مناطق بعيدة[٤٠].

خامساً: الوسائل الاحصائية

لقد تم استخدام الوسائل الاحصائية التالية **(النسبة المئوية لمعرفة القيمة النسبية لإجابات المبحوثين والوسط الحسابي لحساب الفئات العمرية).**

---

[٣٩] جودة عزت عطوي، اساليب البحث العلمي (مفاهيمه، ادواته وطريقه الاحصائية) عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ٢٠١١ ، ط٤ ، ص ٩٩

(٤٠) طاهر حسو، اساليب البحث العلمي في علم الاجتماع، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ط١، ص١٤٣

المبحث الرابع

النتائج ومناقشتها

اولاً: الخصائص الاساسية للمبحوثين ومناقشتها

جدول (٢)

يبين توزع وحدات العينة حسب العمر

فئات العمر	تكرار الذكور	%	تكرار الاناث	%
١٩-١٠	٤	١,٨	١	١
٢٩-٢٠	٤٨	٢١,١	٤٥	٤٥,٩
٣٩-٣٠	٧١	٣١,٣	٣٤	٣٤,٧
٤٩-٤٠	٧١	٣١,٣	١١	١١,٢
٥٩-٥٠	٢٣	١٠,١	٦	٦,١
٦٩-٦٠	٩	٤	١	١
٧٩-٧٠	١	٠,٤	صفر	صفر
المجموع	٢٢٧	١٠٠	٩٨	١٠٠

الوسط الحسابي للفئات العمرية = ٣٦,٢٩

الجدول (٢) يبين عدد المبحوثين حسب العمر اذ توزع المبحوثين على سبع فئات عمرية بلغت نسبة الذكور (٧٠%) وبعدد مبحوثين (٢٢٧) بينما بلغت نسبة الاناث (٣٠%) وبواقع (٩٨) من عدد وحدات العينة المبحوثة، أما اعلى تكرارات لأفراد الذكور الذين اجابوا عن مفردات العينة هي في الفئتين الثالثة والرابعة على التوالي إذ بلغت نسبتهما (٣١,٣%) لكلا الفئتين وبواقع تكرار (٧١) لكل منهم. أما اعلى نسبة للإناث بلغت (٤٥,٩%) ضمن الفئة الثانية وبواقع تكرار بلغ (٤٥).

وكما مبين من الجدول اعلاه فأن اعلى نسبة هي ضمن الفئة العمرية من (٣٠-٤٩) وهي التي تمثل اعمار الشباب الذين هم اقدر من غيرهم على عمليات التواصل والمشاركة مع بعضهم سواء كان ذلك عن طريق الاختلاط في المعاهد أو الجامعات أو الدوائر الحكومية التي يعملون بها أو المشاركة في العمل ضمن القطاع الخاص أو المشاركة في المناسبات الاجتماعية والثقافية والرياضية، وبالتالي كانت نسبة الاجابة ممثلة لأهداف البحث إذ إن آراء وافكار الشباب اليوم هي أكثر وضوح وأكثر انسجام مع متطلبات العصر من خلال عمليات الانفتاح الثقافي والاجتماعي التي حصلت في العراق وخاصة بعد (٢٠٠٣).

جدول (٣)

يبين توزيع مفردات عينة البحث حسب مستوى الدخل

مستوى الدخل	التكرار	%
مرتفع	٣١	٩,٥
متوسط	٢٣٢	٧١,٤
منخفض	٦٢	١٩,١
المجموع	٣٢٥	١٠٠

الجدول (٣) يبين ان نسبة (٧١,٤%) من المبحوثين هم من متوسطي الدخل وبواقع (٢٣١) مبحوثاً، ثم يليه منخفضي الدخل بنسبة (١٩,١%) وبواقع (٦٢) مبحوثاً، ثم اصحاب الدخل المرتفع بنسبة (٩,٥%) بواقع (٣١)

من عينة البحث، كما ان المستوى الاقتصادي يلعب دورا مهما في مستوى التفكير والعمل والفعل لدى الانسان فكلما كان الفرد قادر على توفير مستلزمات حياته اليومية بكل يسر وبساطة كلما ابتعد عن الافكار والقرارات التي من شأنها ان تبعده عن ابناء مجتمعه من جهة وعن نفسه من جهة اخرى ، ومن الملاحظ ان غالبية افراد المجتمع هم الطبقة الوسطى اي اصحاب الدخل المتوسط فهذا يعني ان المستوى الاقتصادي لجميع هذه الفئة متساوي سواء كانوا من دين معين او من قوميات مختلفة ومن مذاهب وطوائف عدة مما يجعل مستوى التقارب الثقافي فيما بينهم اقرب من الفئات الاخرى وخاصة فئة المرتفعة دخولهم الذين قد يتمايزون عن باقي طبقات المجتمع بالمال والمكانة الاقتصادية.

جدول (٤)

توزيع مفردات العينة حسب الانتماء السياسي

الانتماء السياسي	التكرار	%
مستقل	٢٤٥	٧٥,٤
اميل لحزب معين رغم عدم انتمائي	٤٥	١٣,٨
منتمي لتوجه سياسي	٣٠	٩,٢
اخرى	٥	١,٥
المجموع	٣٢٥	١٠٠

من الجدول اعلاه نرى ان نسبة الافراد الذين لا ينتمون الى اي حزب معين هي (٧٥,٤%) وبواقع (٢٤٥) مبحوثاً، فيما بلغت نسبة الافراد الذين يميلون لتوجه حزب معين دون الانتماء اليه (١٣,٨%) وبواقع (٤٥) مبحوثاً، بينما اشارت النسب ان (٩,٢%) فقط هم من ينتمي فعلا لحزب سياسي معين وبواقع (٣٠) مبحوثاً، واخيرا ان نسبة (١,٥%) اي (٥) افراد ذو توجهات غير واضحة في مسألة الانتماء لحزب سياسي معين ام لا.

تلعب السياسة دورا مهما في حياة الشعوب اذ ان نظاماً سياسياً معيناً قادر على جعل البلد الذي يحكمه بلد متطورا ام على العكس من ذلك، وعليه لعبت النظم السياسية دورا مأساويا في تاريخ العراق الحديث بدءاً من قيام الدولة العراقية عام (١٩٢١) وحتى سقوط النظام البعثي في ابريل عام (٢٠٠٣) وما تلاها من فترة عصيبة تعرض لها العراق بعد ذلك تمثلت بالاضطرابات السياسية والامنية ودخول البلاد في اتون الصراعات الطائفية والمذهبية واخرها دخول ما يعرف بتنظيم الدولة الاسلامية (داعش) الى العراق وسقوط بعض محافظات بلاد الرافدين بيد هذا التنظيم المتطرف.

ثانياً: نتائج بيانات ظاهرة البحث ومناقشتها

جدول (٥)

الجدول يبين وجود علاقات مع الجماعات الأثنية المختلفة

الخيارات	التكرار	%
نعم	٢٤٩	٧٦,٦
لا	٧٦	٢٣,٤
المجموع	٣٢٥	١٠٠

من الجدول (٥) نلاحظ ان نسبة الافراد الذين اجابوا بوجود علاقة معينة تربطهم مع باقي افراد الجماعات الأثنية هي الاعلى اذ بلغت (٧٦,٦%) بتكرار (٢٤٩) مبحوثاً، فيما بلغت نسبة الذين اجابوا ب (لا) اي عدم وجود اي علاقة تربطهم مع باقي افراد الجماعات الأثنية الاخرى هي (٢٣,٤%) وبتكرار (٧٦) مبحوثاً.
يبين الجدول اعلاه ان هناك علاقات مختلفة ومتباينة تربط افراد العينة المبحوثة والساكنين في مدينة بغداد والذين سوف بين نوعها الجدول اللاحق (٢١). وعلى اي حال وبصرف النظر عن نوع تلك العلاقة واهدافها وطبيعتها، انما يدل ذلك على وجود نوع من الحراك الاجتماعي بين افراد الجماعات الدينية والأثنية والمذهبية في مدينة بغداد مما يعزز ثقافة التواصل بين مختلفة تلك الجماعات.

جدول (٦)

يبين كيف يتعامل سكان المنطقة مع المختلف معهم أثنياً

الخيارات	التكرار	%
عدالة ومساواة	٤٤	١٣,٥
يحترمون الحقوق الأثنية	٩٢	٢٨,٣
الاهمال والتمييز	٨٦	٢٦,٥
بصوره طبيعية	١٠٠	٣٠,٨
اخرى	٣	٠,٩
المجموع	٣٢٥	١٠٠

يوضح الجدول (٦) كيف يتعامل سكان الحي او المحلة التي توجد فيها اقلية او أثنية اخرى حيث دلت النسب على ان (٣٠,٨%) يتعاملون بصورة طبيعية مع الافراد من أثنيات اخرى و(٢٨,٣%) يتعاملون باحترام لتلك الاقليات و (٢٦,٥%) يتعاملون مع من يسكن معهم من الأثنيات الاخرى بنوع من الاهمال والتميز، فيما ان نسبة الذين يتعاملون بعدالة ومساواة هي (١٣,٥%) بينما سجلت نسبة (٠,٩%) فقط ممن ينظرون الى من يسكن الى جانبهم من الاقليات نظرة اخرى قد تكون غير محبذة بهذا الشأن.

من معطيات الجدول يتضح ان النسبة الاعلى من تعامل افراد العينة المبحوثة هو تعامل بصورة طبيعية، مما يدل على ان تلك الحدود والحواجز الأثنية والدينية والمذهبية ليست كما يروج لها البعض على انها اداة سلبية في تعامل الافراد الساكنين في منطقة واحدة من طوائف واقليات اخرى كذلك ان نسبة (٢٨,٣%) و (١٣,٥%) من نفس الحي يتعاملون بنوع من العدالة والمساواة سواء كان ذلك في التعامل اليومي او في مجال العمل او الدراسة.

ولو قارنا هذه النسب الجيدة التي تدل على وجود نوع من الانفتاح الثقافي وتقبل الاخر واحترام حقوق الأثنية والدينية وتقبل ممارساته وعاداته المختلفة مع النسبة التي ترى ان هناك اهمال وتميز في معاملة الاقليات الأثنية الساكنة في نفس الحي نجد هنا نسبة قليلة على الرغم من ان النسبة الثانية واضحة وقوية. ويرى الباحث ان هناك عوامل اخرى قد تؤدي الى ذلك الاهمال والتميز منها اختلاف اللغة والثقافة والعادات او ان الخوف والخشية من الاتصال مع تلك الاقليات هو الذي يدفع نحو الاهمال والتميز وليس بالضرورة ان يكون الواقع الأثني او المذهبي او القومي وراء ذلك. على ان الباحث لا ينكر ما للأحداث الاخيرة من دور مهم في تعكير صفوة هذا التجانس الأثني والمذهبي في مدينة بغداد من خلال محاولة الاساءة الى بعض افراد الجماعات المختلفة ثقافياً والتي تسكن في منطقة او حي واحد.

جدول (٧)

يوضح وصف المبحوثين لأنفسهم حسب القومية او الدين او المذهب او المهنة والعشيرة

الخيارات	التسلسل المرتبي	التكرار	%
الدين	١	٢٦١	٨٠,٣
القومية	٢	٢٤٣	٧٤,٧
المذهب	٣	٢٢٩	٧٠,٤
العشيرة	٤	١٠٨	٣٣,٢
المهنة	٥	٩٢	٢٨,٣
وصف آخر	٦	٤٣	١٣,٢

اظهرت نتائج البحث الميدانية عن كيفية وصف المبحوثين لأنفسهم اذ يوضح جدول التسلسل المرتبي (٧) ان الانتماء الديني هو الاعلى نسبة في وصف وحدات العينة لأنفسهم اذ بلغت (٨٠,٣%) في حين ان الذين يؤمنون بالقومية كخيار اول لهم بلغوا (٧٤,٧%) بينما الذين يرون ان المذهب هو الذي يجمعهم بصورة اكثر (٧٠,٤%) فيما جاءت العشيرة بنسبة (٣٣,٢%) وبعدها المهنة بنسبة (٢٨,٣%) و اخيرا الاوصاف الاخرى بنسبة (١٣,٢%).

من الجدول اعلاه نستنتج ان الدين هو العامل الاساسي الذي يربط افراد عينة البحث بمختلف انتماءاتهم الدينية ثم القومية ثم المذهب والعشيرة، ولو قارنا هذه الانتماءات مع الاوصاف الاخرى مثل المهنة او العمل او الانتماء الوطني لنجد ان الدين والقومية والمذهب والعشيرة لا زالت هي العناصر الاكثر تأثيرا على افراد المجتمع من العناصر الاخرى رغم التطور الذي حدث للعراق بعد ٢٠٠٣ وتحول افراد المجتمع نحوا افاق اوسع وحرية اكبر من خلال اطلاعهم على العالم الخارجي واختلاطهم بثقافات مدنية حديثة، وعليه فان الانفتاح هنا لم يكن مؤثرا بشكل كبير على افراد المجتمع فكل فرد ظل متمسك بدينه وقومية ومذهبه مما خلق نوع من الانعزال وعدم تجاوز هذه المسميات الى مرحلة اكثر حرية ومشاركة مع الاخرين.

جدول (٨)

يبين نسبة قبول نشر قيم العفو والتسامح بين وحدات العينة واثرها على الانفتاح الثقافي

الخيارات	التكرار	%
نعم	٢٨١	٨٦,٥
لا	٤٤	١٣,٥
المجموع	٣٢٥	١٠٠

يوضح الجدول (٨) ان النسبة الاعلى من المبحوثين هم ممن يأمن بنشر قيم العفو والتسامح بين الجماعات المختلفة أثنياً، اذ بلغت نسبتهم (٨٦,٥%) وتكرار بلغ (٢٨١) مبحوثاً، في حين نسبة الذين لا يرون ان قيم العفو والتسامح ليس لها دور في الانفتاح هي (١٣,٥%) وبتكرار (٤٤) مبحوثاً.

من الجدول اعلاه نرى ان غالبية افراد العينة ومن طوائف وقوميات واديان مختلفة سواء كانوا عرباً ام كردا ام مسلمين ومسيحيين وصابئة وايزيديين وتركمان وكرد فيليين، مؤمنين بثقافة التسامح والعفو وتجاوز الاخطاء فيما بينهم، اذ ان المقارنة واضحة في ذلك من خلال انخفاض نسبة الذين عكس ذلك والتي بلغت (١٣,٥%) فقط.

وعليه يرى الباحث ان ذلك سوف يساعد على الانفتاح والتواصل وتقبل الاخر فكلما زادت مساحة التسامح بين الافراد كلما زادت معها فرص العيش المشترك وتحقيق وضمان التعايش السلمي بعيدا عن المنغصات والاحداث التي تعكر صفوة هذا التعايش السلمي بين ابناء المجتمع الواحد، وتقلل من فرصة المتطرفين الذين يحاولون زرع بذور النفاق والفتنة بين مختلف افرد المجتمع ككل.

جدول (٩)

يبين الاسباب التي تعيق الانفتاح الثقافي بين الجماعات المختلفة أثنيا

الاسباب	التكرار	%
الفقر والجهل	١٠١	٣١,١
الاعلام	٣٣	١٠,٢
التمييز الطائفي	٧٠	٢١,٥
الاختلاف الديني	٨٢	٢٥,٢
الحروب والنزاعات	٣٨	١١,٧
اخرى	١	٠,٣
المجموع	٣٢٥	١٠٠

يبين الجدول (٩) اهم ما يعيق الانفتاح الثقافي بين الجماعات الأثنية الساكنة في مدينة بغداد حيث كان الفقر والجهل اعلى نسبة من اراء المبحوثين حيث بلغت (٣١,١%) ثم الاختلاف الديني بنسبة (٢٥,٢%) والتميز الطائفي (٢١,٥%) والحروب والنزاعات (١١,٧%) والاعلام المنحرف (١٠,٢%) اما العوامل الاخرى بلغت نسبتها (٠,٣%). تشير بيانات الجدول (٣٠) ان النسبة الاعلى من اراء المبحوثين ترى ان الجهل والفقر هو اهم سبب من اسباب الرئيسية التي تعيق عملية الانفتاح الثقافي للأفراد المنتمين للجماعات الأثنية المختلفة.

جدول (١٠)

يبين اهم العوامل التي ادت الى فشل الدولة في تحقيق الاندماج والانفتاح الثقافي

الخيارات	التكرار	%
لا يحقق الاندماج	٧١	٢٩
لم تتبع الاليات والاساليب الصحيحة	٥٠	٢٠,٤
لمحدودية دخلها	٤	١,٦
طائفة واحدة	٨٥	٣٤,٧
لخضوعها لتدخلات	٢٣	٩,٤
مبررات اخرى	١٢	٤,٩
المجموع	٢٤٥	١٠٠

تشير معطيات الجدول (١٠) ان نسبة (٣٤,٧%) ترى ان اهم عوامل فشل الدولة هو اعتمادها على طائفة واحدة في ادارة شؤون الدولة، ونسبة (٢٩%) ترى ذلك بسب طبيعة مكونات المجتمع التي من الصعوبة تحقيق الاندماج فيما بينها، و (٢٠,٤%) تعلل ذلك بعدم اتباع الدولة الاليات والاساليب الصحيحة في تحقيق ذلك، اما نسبة (٩,٤%) ترى ان التدخلات الخارجية هي السبب في حين ان (٤,٩%) ارجعوها لمبررات اخرى، ونسبة

(١,٦%) بسبب محدودية مواردها. ومن مؤشرات الجدول اعلاه نجد ان اعلى نسبة ترى ان اعتماد الدولة على طائفة واحدة هي السبب في عدم تحقيق الاندماج، يبدو ذلك اقرب الى الواقع حيث تشير الدراسة النظرية في الفصل الثالث ان الدولة وعبر تاريخ نشؤها اعتمدت على طائفة واحدة في ادارة الحكم واهملت باقي الطوائف والجماعات في اعطاء نصيب لها في المشاركة في ادارة دفة الحكم او المشاركة الفعالة في مؤسسات الدولة المهمة مما اشعر باقي الطوائف بالغبن والحرمان، وبالتالي نظرت الى تلك الطوائف المسيطرة على الدولة بشي من البعد والقلق والخوف منها وفي النهاية فشلت في تحقيق الاندماج والانفتاح الثقافي عليها.

ثالثا: التوصيات

١) على البرلمان اصدار القوانين والتشريعات التي تحفظ الوحدة الاجتماعية للمجتمع العراقي مع مراعات تلك التشريعات للتنوع الطائفي والمذهبي والأثني من خلال اعطاء خصوصية معينة لتلك الجماعات تضمن حقوقها بقرارات معينة.

٢) اعادة ادماج جميع الطوائف والجماعات التي تعرضت الى التهجير والقتل خلال الفترات السابقة وتوفير حقوقهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لهم.

٣) نشر ثقافة التسامح والعفو من قبل المرجعيات الدينية وعدم تكفير المذاهب والطوائف الاخرى مهما اختلفت في القضايا الدينية.

Abstract:

The issue of cultural openness of ethnic groups of subjects is very important because this subject has social, political and economic dimensions affecting all segments of society, from its continuation and stability. The researcher sought to through research to find answers to the questions posed by the problem of research which was on the main question: (What is the extent of cultural openness in ethnic groups in Iraq), and branched out from this question a group of questions:
What is the most important ethnic groups in Iraq? what is the effect of cultural openness depend in the consolidation of national identity at the expense of the special identity? Are The government succeeded in dealing and management of ethnic groups? How have the recent events on the level of openness between the ethnic groups in Iraq in general and the city of Baghdad in particular?.

The objective of the search to know the factors of openness in the culture of all Iraqi ethnic groups compared with isolationism autonomy of each one of them. Then try the researcher on the extent of cultural openness to achieve civil peace between those groups in the city of Baghdad. It is also current research from the descriptive research, in which the researcher has used the historical approach and methodology ethnographic research and methodology of the field survey. The researcher adopted the form of a questionnaire distributed to a sample of the 325 person from 6 major ethnic groups in the city of Baghdad.

المصادر

[١] محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦.

[٢] حسين درويش العادلي، الثقافة العراقية خيارات الاستلاب او الانغلاق او الانفتاح، مجلة النبأ، العدد (٧٤)، الكويت، مركز المستقبل للثقافة والاعلام، ٢٠٠٥.

[٣] عدنان أبو مصلح، معجم مصطلحات علم الاجتماع، عمان دار أسامة للنشر، ٢٠١٥.

[٤] انتوني غدنز، علم الاجتماع – مع مدخلات عربية، ترجمة فايز الصياغ، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط٤، ٢٠٠٥.

[٥] ادهام محمد العزاوي، الاقليات والامن القومي العربي، عمان، دار وائل، ط١، ٢٠٠٣.

[٦] رشيد الخيون، المجتمع العراقي تراث التسامح والتكاره، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

[٧] عزيز قادر الصمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق، بيروت، دار الساقي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩.

[٨] الليدي دراوو، الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ط٢، ٢٠٠٦.

[٩] فايز عبد الله العساف، الأقليات واثرها في استقرار الدولة القومية، اكراد العراق نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، كلية الآداب، قسم العلوم السياسية، ٢٠١٠.

[١٠] علي وتوت واخرون، المواطنة والهوية الوطنية، بغداد– العراق، الحضارية للطباعة والنشر، د.ت.

[١١] حسن لطيف الزبيدي واخرون، العراق والبحث عن المستقبل، بيروت، المركز العراقي للبحوث والدراسات، ط١، ١، ٢٠٠٨.

[١٢] إسحاق نقاش واخرون، المجتمع العراقي – حفريات سوسيولوجية في الاثنيات والطوائف والطبقات، بيروت، دار الفرات للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦.

[١٣] فيرن نيوفيلد ريديكوب، من العنف الى التراحم، ترجمة سهيل نجم واخرون، بغداد، الروسم للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٢.

[١٤] محمود شمال حسن، مرجعيات الجماعات، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠١٠.

[١٥] جودة عزت عطوي، اساليب البحث العلمي (مفاهيمه، ادواته وطريقه الاحصائية) عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط٤، ٢٠١١.

١٦. طاهر حسو، اساليب البحث العلمي في علم الاجتماع، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١.

[١٧] رشيد السعدي، محنة الايمان وانغلاق الفقه وتهافت القانون، المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ط١، ٢٠١٦.

١٨. شفيق الغبرا، منبر الحرية، كانون الأول، ٢٠١٠، ص١٤، تم استجاعهِ ٢٠/٢٠١٧، الوقت (11:15:A.M) للمزيد ينظر الى:
- http://minbara thurrigga.org/index.php archires/3931 .

[١٩] سعد سلوم، السياسات والاثنيات في العراق – منذ العهد العثماني حتى الوقت الراهن، بيروت، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، ط١، ٢٠١٤.

[٢٠] حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، ترجمة عقيق الرزاز، المكتبة الوطنية الايرانية، ط١، ٢٠٠٥.

[٢١] سامي ناظم المنصوري، سياسة الدولة العثمانية تجاه الاقليات العرقية والطوائف الدينية في العراق، اطروحة دكتوراه، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠١٠.

[٢٢] سعد سلوم، الاقليات في العراق، (الذاكرة – الهوية – التحديات)، بيروت، مؤسسة مسارات، ط١، ٢٠١٥.

[٢٣] سليم مطر، الذات الجريحة، بيروت، دار الكلمة الحرة، ط٤، ٢٠٠٨.

٢٤. عبد القادر عبد الجبار الشيخلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٩٠.